المجلة الدولية للدراسات الإسلامية المتخصصة

المجلد التاسع، العدد الأول، 12:1
آذار (2024)

بحث رقم 1

قراءات بلاغية بين أسباب النزول و الأسلوب القرآني

Rhetorical Readings between the Reasons for Revelation and the Quranic Style

أحمد إبراهيم عبابنه

Ahmad Ibrahim Ababneh

قسم المناهج وطرق التدريس- كلية التربية- جامعة الإمارات العربية المتّحدة- العين- الإمارات العربية المتحدة

Department of Curriculum and Instruction, College of Education, United Arab Emirates University, Alain, United Arab Emirates

Ahmadababneh74@Yahoo.com

Received استلام البحث	Revised مراجعة البحث	Accepted قبول البحث
2023 /10/29	2024 /1/11	2024/2/6

DOI: https://doi.org/10.31559/SIS2024.9.1.1

This file is licensed under a *Creative Commons Attribution 4.0 International*

رفـــاد REFAAD
www.refaad.com

المجلة الدولية للدراسات الإسلامية المتخصصة
International Journal of Specialized Islamic Studies (SIS)
Journal Homepage: https://www.refaad.com/Journal/Index/4
E-ISSN 2617-6246 | P-ISSN 2617-6238

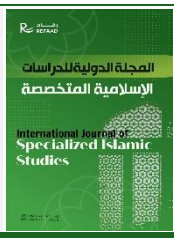

قراءات بلاغية بين أسباب النزول والأسلوب القرآني

Rhetorical Readings between the Reasons for Revelation and the Quranic Style

الملخص:

الأهداف: يهدف البحث إلى دراسة العلاقات القائمة بين أسباب النزول وأساليب القرآن الكريم البلاغيّة، ودراسة آثار أسباب النزول في الأسلوب القرآني بعمومه، أوخصوصه في أساليب معينة استُعملت في بعض الآيات.

المنهجية: سلك الباحث المنهج الاستقرائي بالبحث عن آيات مثّلت العلاقة بين الأساليب البلاغية في الآيات وأسباب نزولها ثم المنهج الاستنباطي من خلال النظره الشمولية في استنباط العلاقات القائمة بينهما بوصفه سمةً عامة، والعلاقات التفصيلية المباشرة بين أسلوب بلاغي استُعمل في آيات وبين أسباب النزول لها.

الخلاصة: انتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج مثل أن اختلاف النظائر من ناحية النظم تبعًا لوجود سبب لبعضها له دلالة واضحة على وجود آثار لأسباب النزول في الأساليب المستعملة في آياتها، وكذلك وجود صيغ متكررة في القرآن الكريم بعدد ليس بالقليل بجامع وجود أسباب متشابهة لكلّ منها هو من آثارأسباب النزول على الأسلوب القرآني، ومثّل التعقيب المباشر بعد السبب بكلام مُعجز أسلوب الارتجال وعدّته العرب مئنة البلاغة. وبيّن البحث التناسب التامّ بين المقام وبين النصّ القرآني المعجز وتصريف أساليبه مراعاة لذلك المقام، وقد فسّر سبب النزول استعمال أساليب خفي سرّ استعمالها وأزال إشكالات.

الكلمات المفتاحية: *قراءة؛ البلاغة؛ البيان؛ أسباب؛ نزول.*

Abstract:

Objectives: The research aims to study the relationships between the reason for the revelation of the Qur'an and talk about its eloquence and to study the reasons for the revelation in the style of the Qur'an in general, or specifically in the specific edition used in the verses.

Methodology: The research used the inductive practice by selecting verses that contain the relationship between the rhetoric and the reasons for its revelation, then the deductive application while discovering those general and detailed relationships.

Conclusion: The study concluded with a set of results such as: The science of the causes of revelation is one of the sciences of the Qur'an whose importance the researcher tried to prove through its benefits and its relationship to rhetorical methods in the verses that have causes of revelation.

Keywords*: Reading; rhetoric; statement; reasons; descent.*

المقدمة:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١﴾ [الكَهْف الآية 1] والصلاة والسلام على سيدنا محمّد النبيّ الأمي صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وبعد.

إنّ الاشتغال بكتاب الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ لهو قربة وطاعة، وتقوية إيمان وزيادة اطمئنان، وإنما كان ذلك لشرف قائله سبحانه، وإن كُلّ عِلم اتّصل بكتاب الله تعالى كان له ذلك الشرف وتلك المرتبة العالية، فكيف بعلمٍ يصوّر لمتعلّمه القرآن وهو يتنزّل ويُشرّع، والنبيّ يُسأل والقرآن يُجيب، والأحداثُ تتعاقبُ؛ فيها ما يُحتاج لتعقيب وفيها ما يتطلب التّسديد، وفيها موافقات طلبها بعض الصّحابة بلسان الحال والمقال فكان التنزيل كما قالوا وتمنّوا. فإنّ كلّ ذلك يُحتاج لدراسته والوقوف عليه وبيان أهميته، فلا أدعى لمعرفة الجوّ والملابسات والظروف التي يقال فيها الكلام، وقديما قالت العرب: "لكلّ مقام مقال . "

وإنّ القرآن الكريم من جهة أخرى قد أصاب أعلى درجات البلاغة وأعجز الإنس والجنّ عن أن يأتوا بمثله ، فقد قال الله تعالى: ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٣٤﴾ [الطُّور الآية 34]، وبما أنهم قالوا عن البلاغة أنها مطابقة المقال لمقتضى الحال (الميداني،1996م،105/2)، فإن من الحكمة النّظر في دواعي الكلام إن وُجدت والمقامات التي قيل فيها وإنها متمثّلة في أسباب النزول، فلزم بيان تلك العلاقة القائمة بين الإثنين علم أسباب النزول وعلم البلاغة، وذلك ببيان أثر سبب النزول في الأسلوب القرآني.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤالين الآتيين:

- هل من علاقة بين أسباب النزول وأساليب القرآن الكريم؟
- وهل من آثار لأسباب النزول في الأسلوب القرآني بعمومه وخصوصه في أساليب بعض الآيات؟

أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها من مجموعة من النقاط، يمكن إيجازها فيما يلي:

- رد ادعاء أن علم أسباب النزول هو ترف زائد، بدراسة أحد فوائده بشكل عملي.
- يخدم البحث التفسير البياني لأنه يمثّل أحد أهم لبناته وهي إدراك العلاقة بين الكلام القرآني ومقامه الداعي له.
- تسليط الضوء على وجود علاقة متينة بين علوم اللغة وعلوم القرآن وأخصها التفسير واحتياج الأخير للأوّل بشدّة.
- يشير البحث بشكل غير مباشر إلى الإعجاز التشريعي وإدراكه عن طريق بيان وجود التشريع في الوقت الذي احتيج إليه لتبرز حكمة تشريعه بشكل لافت.
- يندرج البحث في باب ردّ شُبهات كثيرة حول علوم القرآن الكريم.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- هدف البحث هو بيان العلاقة بين أسباب النزول وبين الأساليب القرآنية.
- بيان آثار لأسباب النزول بعمومها وخصوصها في الأسلوب القرآني.

الدراسات السابقة:

لقد أُلّف في "أسباب النزول " عدّة أبحاث أكاديمية علمية لكنها دراسات عامة عن فوائد اسباب النزول أو علاقتها بالتفسير، ومن تلك الدراسات:

- أسباب النزول أسانيدها وأثرها في التفسير، لابن جمعه سهل، وهي رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى عام 1982م، أشرف عليها د. محمد عبد المنعم ، وهي في بابين لم يفرد فيهما الباحث ما يخص الموضوع.
- أسباب النزول وأثرها في التفسير لعصام الحميدان وهي رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 1406هـ، وغلب عليها جانب الرواية وتصحيحها أو تضعيفها.
- أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، لعماد الدين رشيد رسالة دكتواة نوقشت في جامعة دمشق والكتاب مقصده ربط قضايا أسباب النزول بقضايا علم أصول الفقه فقط.

خطة الدراسة:

المبحث الأول: التمهيدي

المطلب الأول: بين المفهوم والمصطلح.

المطلب الثاني: فوائد أسباب النزول.

المبحث الثاني: نظرة شمولية

المطلب الأول: أسباب النزول و الارتجال.

المطلب الثاني: أسباب النزول و تكرار بعض الصيغ.

المطلب الثالث: متشابهات ومقارنات.

المبحث الثالث: أسباب النزول وعلاقاتها بالأساليب البلاغية في آياتها

المطلب الأول: سبب النزول وأسلوب القسم.

المطلب الثاني: سبب النّزول وأسلوب الشرط.

المطلب الثالث: سبَب النزول وتعدّد المؤكدات.

المطلب الرابع: سبب النزول وأسلوب الاعتراض.

المطلب الخامس: سبب النزول وأسلوب الاستفهام.

المبحث الأول: التمهيدي

المطلب الأول: بين المفهوم والمصطلح

معنى "أسباب النزول" :

"أسباب النزول" لغة مركب إضافي من كلمتي "أسباب " و" نزول"، والأسباب جمع سبب والسَّبَبُ كلُّ شيءٍ يُتَوَصَّلُ بِهِ إلى غيره ، (ابن منظور 1414هـ ، 458/1) وعدّه الفيروزابادي (1،83/2005) استعمالًا مجازيًا ، وأُطلق أيضًا على الطريق "لأنه يوصل إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ، وكذا على الْحَبْلِ لِأَنَّهُمْ توصّلوا بِهِ إِلَى أَعْلَى النَّخِيلِ "(ابن عاشور، 1984، 146/24). والاستعمالان الأول والثالث قد وردا في القرآن الكريم فالأول قال الله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البَقَرَة الآية 166] ، والثاني قول الله تعالى: ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الحج الآية 15].

أما النزول فهو هبوط الشيء ووقوعه من علو إلى سفل " وأصله للذوات وقد يطلقُ مجازًا على مَعَانٍ تَشْبِيهِ النُّزُولِ لِاعْتِبَارِ شَرَفٍ" (الزرقاني،41/1) من مثل قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا ﴾ [الأَعْرَاف الآية 26]، ومعناه أيضًا الحلول، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الصَّافَّات الآية 177] (الفيروزابادي، 2005 ،57/4).

أما اصطلاحًا فقد عرفه السيوطي بأنه: "ما نزلت الآية أيام وقوعه" (السيوطي،أ، 13/1). وقال الزرقاني : "ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه." (الزرقاني،106/1) وقول السيوطي (ما نزلت الآية) هو ذكر لصورة من صور النزول بحسب الكمّ النّازل من القرآن لسبب، فلعله من باب التمثيل لذلك، أو من باب ذكر الغالب – بالرّغم من حاجته للاستقراء – ذلك أنّ من نجوم القرآن التي نزلت لسبب بعض آية وفي المقابل سورة كاملة. ولعلّ الزرقاني استدرك فأضاف صورة أخرى وهي نزول (الآيات)، والأدق من ذلك كلّه أن يقال: (ما نزل فيه قرآن) بالتنكير ليصدق على كل صور النزول.

وعبارة: "متحدثة عنه أو مبينة لحكمه" هي بيان لحكمة النزول، والقيد الأخير "أيام وقوعه" للاحتراز عن الأخبار الماضية وقصص الأولين مما لم يدخل في حدّ أسباب النزول كقدوم الحبشة الذي ذكره الواحدي سببًا لنزول سورة الفيل ونبّه على خروجه من المفهوم السيوطي (السيوطي،أ،4/1). ليصبح تعريف أسباب النزول: **ما نزل فيه قرآن متحدّثًا عنه أيام وقوعه .**

ضبط المصطلح:

لقد درج أهل التفسير على تسمية المفهوم السابق بأسباب النزول وهكذا أطلقه القدامى في مصنفاتهم، لكن بعض المعاصرين رفضوه واستبدلوه بأسماء أخرى وأدلتهم هي:

أولًا: إنّ كلام الله تعالى نازلٌ لا محالة وذلك بكونه "تشريع إنساني عالمي لا قوميّ عيني" (اسلامبولي، 2002، ص130)، فسواء أسأل الناس أو فعلوا شيئًا أم لا فإنّ القرآن سينزل.

ثانيًا: إن السبب ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم وهذا غير منطبق على نزول القرآن الكريم فالتشريع كمضمون قائم كامل في علم الله الفعلي (اسلامبولي، 2002، ص130).

وهذا الكلام غير مقبول للأسباب الآتية:

- إنّ هذه الحجج أقيمت ابتداءً على اعتبار معنى السبب عند الأصوليين، وهو ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم (ابن النجار، 1997، 395/1)، واصطلاح الأصوليين لا يصلح في هذا المقام، لأن المُصطلحين هنا هم المفسرون لا الأصوليون واصطلاحهم منبثق من المعنى اللغوي ومن استعمالات القرآن الكريم لكلمة سبب، ومن واقع أسباب النزول نفسها، واختلاف المصطلحين وارد؛ فلفظ السّنّة مثلًا يختلف بين بين المحدّثين والفقهاء والأصوليين، كلّ منهم له إطلاق.
- إنّ المعنى اللغوي للسبب لا يقتضي ما قالوه وهو مما يُحتكم إليه، وكذلك استعمالات القرآن الكريم للكلمة كما تبيّن.
- إنّ هذا الاصطلاح قد عُرف واستفاض عند أهل هذا الفن من علماء الأمّة سلفهم وخلفهم؛ كالواحدي وابن حجر والسيوطي والوادعي وغيرهم ممن الف فيه خاصة، ومن ألف بعلوم القرآن عامّة كالزركشي وابن حجر والكافيجي والسيوطي وغيرهم، فضلًا عن جلّ المفسرين وهم أهل الاختصاص وقولهم حجة خاصة إن اجمعوا على أمر.

أما إذا ذهبنا للأسماء المقترحة وجدناها ضعيفة لا تصلح، فقد اقترحوا اسم "مناسبات النزول" ولا شكّ أن هذه التسمية قد توقعنا في إشكال التداخل مع علم المناسبة بين الآيات والسور، واقترحوا اسم "تاريخية النزول "(اسلامبولي، 2002، ص130)، وهو لا شكّ يُنبئ عن إشكالٍ أكبر من سابقه لأنه قد يضيّع حدود علم أسباب النزول ويدخل غيرها فيها كالمكي والمدني والليلي والنهاري ... الخ، وكذلك نزول القرآن الكريم وكيفيته، وغيرها من علوم القرآن الأخرى، بحيث يصبح علم أسباب النزول غير منضبط ويخرج المصطلح عن تلك القيود الواردة في التعريف.

المطلب الثاني: فوائد أسباب النزول

يشير الزركشي وكذا السيوطي ومن نقل عنهم إلى أن هناك من زعم بأنّ علم أسباب النزول "لا فائدة له لِجَرَيَانِهِ مَجْرَى التَّارِيخِ" (السيوطي، ب، ص107/1) وقد امتدّ ذلك الرأي إلى عصرنا وزُعم بأن أسباب النزول لا فائدة لها بل بإنكارها، وهذا باطل يدحضه صحة الروايات المتناثرة في الصحيحين وكتب السنن والتفسير، وتدحضه تلك العلاقة القائمة بين لغة الآية وبين سبب نزولها وهو ما جاء البحث ليبينه.

وقد قال علي رضي الله عنه فيمن لم يعلم بالناسخ والمنسوخ وأمثاله من العلم: هلكت وأهلكت... (ابن حزم، 1986) ويقول الشاطبي في الموافقات (1997، ص146/4) : "إنَّ الْجَهْلَ بِأَسْبَابِ التَّنْزِيلِ مُوقِعٌ فِي الشُّبَهِ وَالْإِشْكَالَاتِ، وَمُورِدٌ لِلنُّصُوصِ الظَّاهِرَةِ مَوْرِدَ الْإِجْمَالِ حَتَّى يَقَعَ الِاخْتِلَافُ، وَذَلِكَ مَظِنَّةُ وُقُوعِ النِّزَاعِ". ونقل السيوطي أقوالًا عدّة في أهمية هذا العلم (السيوطي،ب، ص108/1).

وفي إشارة لطيفة لأحد الباحثين المختصين الذي يشير إلى أن اصحاب الصحاح والسنن كالبخاري وكذا الترمذي حينما عنونوا في كتبهم بتفسير القرآن ثم ذكروا تحت تلك الأبواب روايات في أغلبها روايات أسباب نزول فإنّ في صنيعهم ذلك إشاره كبرى لأهمية الارتباط الواضح بين على التفسير وعلم أسباب النزول (عدنان، 2017، ص62).

أما عن فوائد أسباب النزول فتتلخص في الآتي:

أولًا: زيادة فهم الآية المراد تفسيرها يقول الواحدي: " لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها". (الزرقاني،ص 110)

ثانيًا: إزالة الإشكال عن الآية إن وُجد (الزركشي،1957، 27/1).

ثالثًا: " دفع توهم الحصر". (الزركشي،1957، 23/1)

رابعًا: " اللَّفْظَ قَدْ يَكُونُ عَامًّا وَيَقُومُ الدَّلِيلُ عَلَى تخصصه فَإِذَا عُرِفَ السَّبَبُ قَصُرَ التَّخْصِيصُ عَلَى مَا عَدَا صُورَتَهُ فَإِنَّ دُخُولَ صُورَةِ السَّبَبِ قَطْعِيٌّ وَإِخْرَاجُهَا بِالِاجْتِهَادِ مَمْنُوعٌ" (السيوطي،ب، ص107/1).

خامسًا: "تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ" (الشوكاني، 1999، ص332/1).

سادسًا: " تجلّي حكمة الله تعالى في التشريع القرآني" (الزرقاني، ص 109).

سابعًا: "تعيين المُبهم ومعرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا يشتبه بغيره". (الزرقاني، ص 110).

ثامنًا: وهي ما أشار لها الشاطبي رحمه الله حينما ذكر فائدتين لعلم أسباب النزول كان أولاهما: "إنَّ عِلْمَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ الَّذِي يُعْرَفُ بِهِ إِعْجَازُ نَظْمِ الْقُرْآنِ ... إِنَّمَا مَدَارُهُ عَلَى مَعْرِفَةِ مُقْتَضَيَاتِ الْأَحْوَالِ: حَالِ الْخِطَابِ ...؛ إِذِ الْكَلَامُ الْوَاحِدُ يَخْتَلِفُ فَهْمُهُ بِحَسَبِ حَالَيْنِ، وَبِحَسَبِ مُخَاطَبَيْنِ، وَبِحَسَبِ غَيْرِ ذَلِكَ؛ كَالِاسْتِفْهَامِ، لَفْظُهُ وَاحِدٌ، وَيَدْخُلُهُ مَعَانٍ أُخَرُ مِنْ تَقْرِيرٍ وَتَوْبِيخٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَكَالْأَمْرِ يَدْخُلُهُ مَعْنَى الْإِبَاحَةِ وَالتَّهْدِيدِ وَالتَّعْجِيزِ وَأَشْبَاهِهَا وَلَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَاهَا الْمُرَادِ إِلَّا الْأُمُورُ الْخَارِجَةُ، وَعُمْدَتُهَا مُقْتَضَيَاتُ الْأَحْوَالِ "(الشاطبي،1997،ص4/ 146).

ويذكر ابن عاشور في المقدمة الخامسة نحواً من كلام الشاطبي وهو أن من فوائد أسباب النزول "مَا يُنَبِّهُ الْمُفَسِّرَ إِلَى إِدْرَاكِ خُصُوصِيَّاتٍ بَلَاغِيَّةٍ تَتْبَعُ مُقْتَضَى الْمَقَامَاتِ فَإِنَّ مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ مَا يُعِينُ عَلَى تَصْوِيرِ مَقَامِ الْكَلَامِ "(ابن عاشور،1984،ص47/1).

ثم بيّن في المقدمة العاشرة أن اشتمال الْقُرْآنِ عَلَى خُصُوصِيَّاتٍ تثير تساؤلًا حول دواعيها يتطلّب التصدّي لها تكلّفًا واضحًا إن لم تقترن دراسة ألفاظ الآية بالمقامات المنوطة بها. وفصل الإجمال بالتمثيل غير أن التمثيل تعدّى أسباب النزول إلى دراسة الواقع العام لموضوع الآية أو الآيات النازلة الذي استدعى أسلوبًا معينًا (ابن عاشور،1984، ص111/1).

ورحم الله كلًا من الشاطبي وابن عاشور في دقة ملاحظتهما وإشاراتهما الدقيقة، ولقد أثار هذا الملحظ منهما الفضول لعقد هذه الدراسة التي خصّت الفائدة الأخيرة من فوائد أسباب النزول وإثارتها بنظرات تأملية في قالب جديد، وبالله التوفيق.

المبحث الثاني: نظرة شمولية

المطلب الأول: سبب النزول والارتجال

ذكر الطاهر ابن عاشور من ضمن فوائد معرفة أسباب النزول: "إِنَّ فِي نُزُولِ الْقُرْآنِ عِنْدَ حُدُوثِ حَوَادِثَ دَلَالَةٌ عَلَى إِعْجَازِهِ مِنْ نَاحِيَةِ الِارْتِجَالِ، "(ابن عاشور،1984، ص50/1).

وإنّ مما هو معلوم في بدهيات أهل اللغة أن الارتجال علامة بلاغة، وقد عرّفوه بأنه "إيراد الكلام قائمًا مستقيمًا بغير تردد ولا تلعثم، وارتجل الكلام أتى به من غير روية ولا فكر وارتجل أي انفرد به من غير مشورة" (المناوي،1990م،ص45/1)(نشوان،1990، 2441/4)، وقد عُرف الارتجال من شيم البلغاء وفُضّل العرب على العجم في الشعر لتخصصهم بالارتجال فقد نُقل عن الجاحظ قوله: "والأمثال التي ضربت فيها - أي أشعار العرب- أجود وأسبر. والدليل أن الارتجال والاقتضاب خاص فيها" (جواد،2001م،ص140/17).

فالشعر الجاهلي قسمان: الأول؛ شعر ارتجالي يقوله الشاعر من غير تروّ وكدّ ذهن..، وقسم قالوه بعد تعمل وإعنات ورويّة، وقد قيل بأنّ قصائد الحوليات كانت تنظم في أربعة أشهر وتنقح بأربعة وتلقى بأربعة (مارون، 2014،ص46).

وللعرب أسواقٌ كانوا يلقون فيها الشعر، بلونيه أشهر السنة ويحضرها السواد الأعظم ويتنقلون بينها، "فمن دومة الجندل في أعالي نجد إلى هجر فيقيمون إلى عمان، إلى حضرموت فعَدن، ثم إلى عكاظ في الأشهر الحرم" (مارون، 2014،ص49).

وكلام ابن عاشور في هذا الشأن صدق وحقّ بل إنّ تنزل القرآن الكريم عقب الحوادث بكلام معجز بوجه أو بعدّة وجوه لهو أمر أبلغ من قضية الارتجال.

إننا إذا أردنا أن نثبت وجه كون نزول القرآن عقب الحوادث هو معجز من ناحية الارتجال فإن ذلك يكون من ناحيتين؛ الأولى: ثبوت إعجازه أصلًا وهذا ثابت، والثاني: في إثبات أن هذا النازل المُعجز جاء على التعقيب الفوري على الأحداث وهذا بيّن واضح من بعض روايات أسباب النزول التي تشعر بالسرعة والتعقيب المباشر في النزول وهذا -لا شك- دليل الكمال والإعجاز، فمن المدهش أن يأتي تشريع عظيم يجتث الجريمة بكلام بليغ كتعقيب فوري على حادثة، كما في رواية سبب نزول آيات الملاعنة، عندما تعجّب سعد-رضي الله عنه- من دخول الأزواج في الاستشهاد على زوجاتهم إن زنين، حتى وقع هلال ابن أمية بما تعجّب منه سعد، فجاء يشكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لمشاهدته زوجته تزني، وتوقع القوم جلد النبي صلى الله عليه وسلّم لهلال،" فَوَاللَّهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يَأْمُرَ بِضَرْبِهِ، إِذْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ -وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ عَرَفُوا ذَلِكَ، فِي تَرَبُّدِ وَجْهِهِ. يَعْنِي: فَأَمْسَكُوا عَنْهُ حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْوَحْيِ –فَنَزَلَتْ الْآيَةَ، فَسُرِّي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (ابن كثير ،1999م، 15/6).

والرواية واضحة في التعقيب القرآني السريع على الحادثة بهذا التعقيب السريع المعجز ببيانه وتشريعه.

وكذلك التعقيب المباشر في نزول جملة "غير أولي الضرر" في آيتها في قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النِّسَاء الآية 95] قال زيد: "فَجَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُوم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ، وَكَانَ أَعْمَى، فَأَنْزَلَ الله على رسوله صلّى الله عليه وَسَلَّمَ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي: غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ. (الشوكاني، 1414هـ، 581/1) وهذا أيضًا صريح في التعقيب الفوري المباشر على اعتذار ابن ام مكتوم رضي الله عنه. وبهذا البيان ثبت بالدليل أن القرآن معجز من جعة نزول بعض آياته كتعقيب مباشر بكلام معجز.

المطلب الثاني: أسباب النزول و تكرار بعض الصيغ

إنّ مما يستوقفنا ونحن نبحث بين أسباب النزول بعمومها وبين الأسلوب القرآني هو أنّ هناك صيغا معيّنة صُدّرت بها بعض الآيات في مواضع مختلفة، وإننا إذا تدبّرنا وبحثنا في تفسير الآيات ذاتها سنجدُ أنّ الجامع بينها وجود سبب نزول لكل منها يشبه الآخر، وسأطبق هذا الأمر على صيغتين:

الأولى: صيغة (ومن الناس من):

وهذه الصيغة واردة عادة عَلَى أَصْلِ الْإِخْبَارِ، والخبر مقدّم هنا لغرض التَّشْوِيقِ إِلَى اسْتِعْلَامِ الْمُبْتَدَأِ لا للتخْصِيصِ. وذكرها يؤذن بسوق قصة مذمومة استدعت إخفاء ذكرهم (ابن عاشور،1984، 260/1)، وإنني أضيف هنا كلمة "غالبًا" لاحترز من دخول آيات اشتملت على الصيغة لكن بذكر المدح والثناء للمُشار إليهم من مثل قوله تعالى: "ومن الناس من يشري نفسه" والمشار إليه في الآية هو صهيب رضي الله عنه (السيوطي،ب 96/4).

أما عن أمثلة الصيغة فمن مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾[الحَج الآية 11] ومثل قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣﴾ [الحَج الآية 3] فقد أورد الآلوسي أن الآية نزلت في النضر بن الحارث يجادل في الملائكة بأنها بنات الله- وسبحانه وتعالى عمّا يقولون علوًّا كبيرًا-، وفي القرآن بأنه أساطير الأولين وفي أمر البعث، أو في أبي جهل أو في أبيّ بن خلف وهي عامة بلفظها في كل مجادل فيما لا يجوز على الله تعالى من صفات أو أفعال (الآلوسي،1415هـ، 110/9). وغيرهما من الآيات التي وصلت إلى عشرة مواضع، كلها لها أسباب ومقصود بها أشخاص بعينهم، إلا قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ۝١٦٥﴾ [البَقَرَة الآية 165].

ثانيًا: صيغة (يسألونك):

ومن الصيغ التي كانت قد تكررت في القرآن الكريم لأسباب متشابهة أيضًا هي صيغة " يسألونك" حيث تكررت الصيغة خمس عشرة مرّة في أربعة عشر موضعًا حيث تكررت الصيغة في آية من تلك المواضع مرتين ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨٧﴾ [الأَعْرَاف الآية 187] .

وهذه المواضع كلها لها أسباب باستثناء الواردة في قول الله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾ [المَائِـدَة الآية 4]، وَقد رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ما يُثبت وجود أسباب لتلك المواضع جميعها؛ حيث أَنَّهُ قَالَ رضي الله عنه : مَا كَانَ أُمَّةٌ أَقَلَّ سُؤَالًا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا عَنْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَرْفًا فَأُجِيبُوا مِنْهَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ... فعدّها. (الرازي،1420هـ،2/ 234).

وجاء السؤال بهذه الصيغة بضمير الجمع؛ عَلَى أَنَّ السَّائِلِينَ جَمَاعَةٌ ولا يقتضي كونهم جماعة، لأن أسباب بعض الآيات تُظهر وجود سائل أو اثنين، ولعلّ الجمع هنا على عادة العرب مِنْ أنهم ينسبون الشيء إِلَى جَمْعٍ حتى لو صَدَرَ عن وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ، أَوْ لأنّ الِاثْنَيْنِ جَمْعًا عَلَى سَبِيلِ الِاتِّسَاعِ والمجاز، أما الكاف فهي للخِطَابٌ وهي للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذه الصيغة إن نزلت في آية قبل التوجّه بالسؤال للنبي صلى الله عليه وسلّم حُملت على الإخبار بالمغيّب، وَإِنْ كَانَتْ بعده ، فتُحمل على حكاية حال مضت وَهُوَ الْمَنْقُولُ فِي أَسْبَابِ النُّزُول (أبو حيان،1420، 2/234).

ومن نماذج تلك الصيغة ما رواه الإمام مسلم رحمه الله عن أنس في اليهود أنهم كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يواكلوها ولم يجامعوهن في البيوت فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾ [البَقَرَة الآية 222] (الوادعي، 1،1987/43).

وتتكرر الصيغة نفسها في آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ۝٢١٩﴾ [البَقَرَة الآية 219].

فالقرآن طوى تفصيل أزمان الأسئلة ليجعلها بفعل المضارعة لاستمرار وقوع السؤال، وأبهم السائلين ولم يصرّح بأسمائهم، وذكرهم بضمير الجمع، وكل ذلك على اختلاف أعيانهم واختلاف طبيعة أسئلتهم وبواعثها وأزمانها وأوجز كل ذلك بكلمة واحدة (يسألونك) . فالشاهد من كلّ هذا أن من آثار أسباب النزول وجود صيغة واحدة تكررت في القرآن الكريم خمس عشرة مرّة بجامع وجود أسباب متشابهة لكلّ منها منطوية على الذي ذكرت من الإجمال والإيجاز. وهذا من أبين العلاقات بين الأسباب والأسلوب القرآني.

المطلب الثالث: متشابهات ومقارنات

تأتي الآيات ذات الموضوع الواحد والمتفرقة في القرآن الكريم أحيانا ببعض المفارقات في النظم والعجيب أننا إذا إذا نظرنا بشمولية في المقارنات فإننا نجد أن هناك فروقًا في النظم قامت على أساس وجود أسباب لبعضها دون الأخرى.

ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك ورود عدّة آيات في شأن أهل الكتاب بينها فروق، من مثل قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ [آل عِمْرَان الآية 199] وقوله في نفس السورة ﴿۞ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عِمْرَان الآية 113]. وكآية القصص: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القَصَص من الآية 52 الى الآية 53].

إن جميع هذه الآيات جاءت في أهل الكتاب وأن منهم من آمن بالله وبما أنزل عليهم وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلّم لكنّ المُلاحظ عند المقارنة بينها وجود مؤكّدات في الآية الأولى خلت منها أو من بعضها الآيات الباقية، كوجود إنّ، واللام، وإسميّة الجملة..، وإننا إذا انتقلنا إلى أسباب النزول سنجد أن للآية الأولى سبب نزول له علاقة بهذا النظم فقد أورد النسائي رحمه الله (كتاب التفسير، ج1 ص41): "عن أنس قال لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم "صلوا عليه". قالوا يا رسول الله نصلي على عبد حبشي. فأنزل الله عز وجل ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ [آل عِمْرَان الآية 199] " والسؤال الوارد منهم في الرواية يُفهم منه التعجب الواقع منهم بسبب الأمر بالصلاة على النجاشي وعلمهم بعدم إسلامه، فقابل هذا السؤال التعجبي الإنكاري تعدد المؤكدات لهم في الآية التي نزلت كجواب لهم، ولو لم نعلم سبب النزول والمقام الذي نزلت فيه الآية لم نعلم ضرورة سرّ تعدّد المؤكّدات. وبالتالي مجيؤها على نظم اختلف عن نظيراتها من الآيات. وسيأتي مزيد بيان حول آية آل عمران بعد قليل.

وكذلك عندما ننظر إلى الأفعال المذكورة في القرآن نجدها في أزمان مختلفة فمثلا قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البَقَرَة الآية 80] جاء في الماضي، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأَنْعَام الآية 26] جاء بالفعل المضارع، وقوله سبحانه: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البَقَرَة الآية 142] يشير للمستقبل.

وأسباب النزول توضح اختلاف تصاريف تلك الأفعال. فقد روي في سبب نزول الأولى قدوم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة، واليهود تقول: إنما هذه الدنيا سبعة آلاف سنةٍ، وإنما يُعَذَّب الناس في النار لكل ألف سنة من أيام الدنيا يومًا واحدًا في النار من أيام الآخرة، وإنما هي سبعة أيامٍ ثم ينقطع العذاب (القرطبي،1986، ص10/2).

فقول اليهود سابق على قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حيث أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قدم المدينة، فضلًا عن أن هذا القول هو اعتقاد ولا شك أن الاعتقاد أمر ثابت قديم لا أمر طارئ متغيّر، فهو ماض راسخ في اعتقادهم.

أما الثانية فمما قيل في سبب نزولها أنها نزلت في أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلّم كَانَ يَنْهَى الْمُشْرِكِينَ عن أذى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَتَبَاعَدُ عَمَّا جَاءَ بِهِ. (الواحدي، ص215) وقيل غير ذلك، لكن على هذا القول لا شكّ في أنّ أبا طالب كان يتكرر منه هذا الفعل فقد عُرف بدفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلّم فالفعلان "ينهون "و"ينأون "متكرران متجددان من أبي طالب فاقتضى كونهما بصيغة المضارع لا بالماضي على سبيل المثال.

فالمقارنات بين أزمنة الأفعال تقول أن أسباب النزول لها اتصال مباشر بتحديد نوع الفعل المذكور في القرآن بما لا يكاد يتخلّف. وانظر بعد ذلك إلى الآية الثالثة التي تشير للمستقبل وأنه حينما يتكلّم القرآن عن المستقبل فالأمر متعلقٌ عندها بالإعجاز بالإخبار عن غيب المستقبل كما هو معلوم.

المبحث الثالث: أسباب النزول وعلاقاتها بالأساليب البلاغية في آياتها

المطلب الأول: سبب النزول وأسلوب القسم

لقد عُلم أن الناس متفاوتون في تصديقهم للأخبار؛ فمنهم المنكر خالي الذهن، ومنهم المتردد، ومنهم المنكر الذي يؤكد له الكلام بقدر إنكاره قوة وضعفًا، ولا شكّ أن القسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس، فكيف بالقرآن وقد نزل للناس كافة، ووقفوا منه مواقف متباينة، متنقلين بين المراتب الثلاث فيجيء القسم ليزيل الشكوك، ويحبط الشبهات، ويقيم الحجة، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة (القطان،2000، 301/1).

هذا من فوائد القسم القرآني بشكل عام، لكننا لا يمكننا الوقوف أحيانا على سرّ استعمال القسم في القرآن الكريم وجمالية التعبير به في موضعه -اللهم إلاّ ماكان من كلام عام كأن نقول أتي به للتوكيد ونحوه- إلا إذا عرفنا ما يحيط بالنصّ الكريم من أمور كسبب النزول ومقتضيات الحال، ومن ذلك:

- **القسم في قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضُّحَى من الآية 1 الى الآية 3]** فإننا إذا أردنا تفسير الآية دون معرفة سبب النزول وما يحيط بالنزول من مقتضيات الحال، سيغيب عنّا تمامًا سرّ استعمال أسلوب القسم في الآية فيقول المفسر حينئذ: إن القسم لبيان شأن وقت الضحى ولله أن يقسم بأي شيء من خلقه والمقسم عليه: إنّ الله تعالى لم يهجر نبيه صلى الله عليه وسلّم ولم يبغضه، ولا يعدو التفسير ذلك . وربّما أوقعنا هذا التفسير العام في إشكالٍ؛ وهو إيراد القسم في معرض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلّم، والنبي صلى الله عليه وسلّم ليس بجاحد حتى يتمّ تأكيد الكلام له بالقسم ابتداءاً .

ولا بدّ لنا حينئذ حتى نفهم الخطاب ونُزيل هذا الإشكال من البحث وراء النصّ القرآني الكريم المعجز من مقتضيات الحال الذي نزل فيه هذا النّجم القرآني، وعند البحث في ذلك نجد بأنّ المقام الذي قيل فيه الكلام هو وجود جاحد منكر لما تمّ القسم به، فقد جاء القسم هنا ردًا على المرأة القائلة بهجران جبريل عليه السلام لمحمد صلى الله عليه وسلم حيث أخرج البخاري عن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: "احْتَبَسَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ: أَبْطَأَ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ، فَنَزَلَتْ..". (صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الضحى حديث رقم [4950])

وورد عن ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه- "أن الوحي احتبس عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا أَوْ نَحْوَهَا. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا وَدَّعَهُ رَبُّهُ وَقَلَاهُ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ"(ابن كثير 1999 -424/8) فإذا علمنا ذلك أدركنا فائدة التَّأْكِيد بالقسم وأنه تَعْرِيضٌ بتلك المرأة أو بِالْمُشْرِكِينَ -وهي منهم- لا بالرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما تردد في وُقُوعِ ما أخبره اللَّهُ بِوُقُوعِهِ ولا حاجة لتأكيد الأمر له (ابن عاشور 1984 - 394/30).

- **القسم في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥﴾ [النِّسَاء الآية 65]** فقد اختُلِف في معنى "لا" السابقة للقسم هنا فقال الطبري فيها:"فلا" رَدَّ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، تَقْدِيرُهُ فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، ثُمَّ جاء الاستئناف(الطبري،2000، 7/ 200)، ونقله الرازي عن الواحدي وزاد بأنّها مؤكّدة بدون اعتبارها زائدة لأَنَّهَا لِتَوْكِيدِ النَّفْيِ الَّذِي جَاءَ فِيمَا بَعْدُ، لِأَنَّهُ إِذَا ذُكِرَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ وَفِي آخِرِهِ كَانَ أَوْكَدَ وَأَحْسَنَ(الرازي، 1420هـ، 10/ 127).

وقال الزمخشري بزيادتها لتأكيد معنى القسم وتعقبه ابن المنيّر في حاشيته بالمخالفة، ورجّح كونها لتوطئة النفي المقسم عليه وذلك لكونها لم ترد في كتاب الله إلا مع القسم عندما يكون بالفعل مثل "لا أقسم"، ولم تدخل أيضا إلا على القسم بغير الله تعالى التي كان القسم بها لإزاحة الوهم القائل بعدم استحقاق هذه الأشياء للتعظيم، فجاء القسم بها بالتأكيد في إبراز فعل القسم مؤكدًا بالنفي المذكور، بخلاف آية النساء هذه التي أقسم فيها بالله سبحانه مما لا يُحتاج به إلى تأكيد ب"لا".(الزمخشري، 1407هـ،1/ 528) وهو تحقيق نفيس من ابن المنيّر . والمُقسَم عليه في الآية هو أنهم لن يؤمنوا حَتَّى يُحَكِّمُوا النبي صلى الله عليه وسلّم أي يجعلوه حاكمًا ويترافعوا إليه فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ أي فيما اختلف بينهم من الأمور والتبس (القاسمي، 1418هـ ،3/ 200).

وإننا إذا تأملنا هذه الصيغة في القسم من حيث دخول "لا " على القسم "فلا وربّك" -خاصة اذا اعتُبرت مؤكّدة على ما نقله الرازي أو ما ارتضاه الزمخشري -، والمقسم عليه نفي "لا يؤمنون"، والمقسم به الله تعالى "وربّك"، وإضافة كاف الخطاب التي يراد بها النبي صلى الله عليه وسلّم لهي تشير لوجود ما استدعى وجود نظم فيه جميع هذه الصّفات. وهو ما يُشابه ما قاله الأعرابي عندما سمع قول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ [الذَّارِيَات الآية 22] سُبْحَانَ اللَّهِ! مَنِ الَّذِي أَغْضَبَ الْجَلِيلَ حَتَّى حَلَفَ! أَلَمْ يُصَدِّقُوهُ فِي قَوْلِهِ حَتَّى أَلْجَؤُوهُ إِلَى الْيَمِينِ؟ » (الزمخشري، 1407هـ،17/ 42)

وإننا نجدُ فعلًا أن هناك حدث استدعى كل ذلك مما يعدّ واضحًا لوجود هذا النظم المعجز على هذا النحو؛ وذلك أن الزبير خاصم رجلًا من الأنصار في شريج من الحرة فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "اسقِ يا زبير ثم أرسلِ الماءَ إلى جارك" فقال الأنصاري: يا رسول الله إن كان ابن عمتك فتلون وجهه. ثم قال: "اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك". قال الزبير: فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك. (صحيح البخاري ،كتاب الشرب والمساقاه ،بَابُ سَكْرِ الْأَنْهَار حديث رقم 2359-2360) قال ابن كثير: "واستوعى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة" (ابن كثير 1999م،520/1)

وهنا نرى كيف أنكر الأنصاري على الرسول صلى الله عليه وسلّم حكمه، بل اتهمه بالتحيز للزبير بدافع قرابته، بالرغم من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في شأن التحاكم إليه بشأن أولي القربى: "وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"(صحيح

البخاري، كتاب المغازي، باب من شهد الفتح برقم 3475). قال القرطبي: "وَعِنْدَ ذَلِكَ نَطَقَ بِالْكَلِمَةِ الْجَائِرَةِ الْمُهْلِكَةِ الْفَاقِرَةِ فَقَالَ: آنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟"،(القرطبي،2003م،5/267) فهو لم يعجبه الحكم ولم يرضاه، وهو قد اتهم النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يليق، أما موقف النبي صلى الله عليه وسلم فهو تَلَوُّنَ وَجْهِه غَضَبًا عَلَيْهِ، وَحَكَمَ لِلزُّبَيْرِ بِاسْتِيفَاءِ حَقِّهِ مِنْ غَيْرِ مُسَامَحَةٍ لَهُ. فكانت حكمة استدعاء ذلك القسم بهذا النظم الدال على التأكيد بعد معرفة السبب واضحة جليّة.

المطلب الثاني : سبب النّزول وأسلوب الشرط

لقد أشغل الشرط وجوابه في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النِّسَاء الآية 3] المفسرين في بيان وجهه، وغاب عن كثير من علماء السلف - كما قاله ابن عاشور ذلك أن الأمر بِنِكَاحِ النِّسَاءِ ضمن العدد المذكور فِي جَوَابِ الشَّرْطِ مشروط بالْخَوْفِ مِنْ عَدَمِ الْعَدْلِ فِي الْيَتَامَى،(1984، ص4/222) ولعل ابن عاشور اعتمد على من سبقه كنقل الشوكاني عن جَمَاعَة مِنَ السَّلَفِ من أن "وجه الارتباط بين الْجَزَاءِ والشَّرْطِ أَنَّهُمْ إِذَا خَافُوا أَلَّا يُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَكَذَلِكَ يَخَافُونَ أَلَّا يُقْسِطُوا فِي النِّسَاءِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ فِي الْيَتَامَى وَلَا يَتَحَرَّجُونَ فِي النِّسَاءِ"،(ابن عاشور، 1984 ،1/482) ويظهر منه أنّ اليتامى هنا بمعناها العام لا يتامى النساء وعلى حدّ قول الطبري -رحمه الله-: إن القوم كانوا يتحوّبون في أموال اليتامى أن لا يعدلوا فيها، ولا يتحوبون في النساء أن لا يعدِلوا فيهن (الطبري، 2000 ،7/535). وهذا القول لا يصح أو لا يكون قريبًا على أقل تقدير ممّا وضحته عائشة رضي الله عنها من سبب النزول بحيث يزول الإشكال وتتبيّن حكمة التعبير بالشرط على أوضح ما يكون حيث قالت رضي الله عنها:"هَذِهِ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حِجْرِ وَلِيِّهَا تُشْرِكُهُ فِي مَالِهِ وَيُعْجِبُهُ مَالُهَا وَجَمَالُهَا، فَيُرِيدُ وَلِيُّهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِهَا ...فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ... فَأُمِرُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرِهِنَّ"(ابن عاشور، 1984م ، 4/222)

فالمراد باليتامى هنا صنفًا من اليتامى وهنّ يتامى النساء اللاتي كان من يحللن لهم ويلوهنّ يتزوجوهن لكن لا رغبة لهم فيهن بل في مالهنّ فيسيئون صحبتهن ويتربصون بهن أن يمتن فيرثوهن فوعظو في ذلك. وهذا التفسير هو الذي ارتضاه جملة من المفسرين وأقاموه على سبب النزول (الآلوسي،1415هـ، 2/400) (ابن عاشور،1984هـ، 4/222).

أقول: لعلّ استخدام أسلوب الشرط هنا له علاقة بالإشارة إلى أنّ الأصل الغالب هو القسط في صِداق اليتيمة، وأن انتفاء القسط شيء نادر، وهو واضح من استخدام (إنْ) ومعلوم لغة أنها تستخدم لما يندُر، فإن وقع بعد ذلك فإنّ الله تعالى أحل لكم سواهنّ مثنى وثُلاث ورُباع. فأسلوب الشرط هنا واستخدامه ابتداءا له علاقة بتلك الحالة التي دلّ عليها سبب النزول وأنه باستعمال هذا الأسلوب دلّ على أنها الحالة الشاذّة وليست الأصيلة. ثمّ إنّ إدراك العلاقة بين الشرط وجوابه لا يمكن الوصول إليها دون معرفة سبب النزول.

المطلب الثالث: سبَب النزول وتعدّد المؤكدات

عرفنا من قبل أنّ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عِمْرَان الآية 199] مؤكّدات خلت منها نظيراتها. وإنّ هذا سنقرؤه الآن في ظل كلام أهل اللغة الذين قالوا أنّ الخبر في اللغة يأتي بصور مختلفة وذلك بحسب حال المُخبَر أو المخاطب فخالي الذّهن لا يؤكّد له كالمتردد أو المُنكر الذي يؤكّد له الخبر بمؤكّدَين أو أكثر وذلك بحسب درجة إنكاره، وقد تُنزل العرب أحيانا المقر منزلة المنكر إذا ظهرت عليه بعض علامات الإنكار، وجعلوا منه قول أحدهم: جاء شَقيقٌ عارضًا رُمَحهُ إنَّ بني عَمك فيهم رماحُ، حيث جاء شقيق يضع رمحه عرضًا على فخذيه مستعرضًا له، وهو بهذا أتى بفعل يدل على إنكاره لشجاعة ولرماح بني عمّه وهو في الواقع مقر بذلك، فأنزلوه منزلة المنكر بهذا البيت. (الهاشمي،1/58)

وإنّ نتيجة هذه القراءة تقتضي وجود إشكال في فهم الآية وهي أن الخطاب للمؤمنين وهم غير منكرين فلم هذا التأكيد؟ فجاءت إزالة الإشكال في سبب النزول الذي أثبت استغرابا لدى المؤمنين وتعجّبًا في أمر الصلاة على النجاشي مما مرّ ذكره قبل قليل، فعندها يمكننا القول أن سبب النزول أزال إشكال التأكيد لمن لا يحتاجه.

المطلب الرابع: سبب النزول وأسلوب الاعتراض

الاعتراض أسلوب من أساليب التعبير يرجع إلى ألوان الإطناب إذ يعدّ واحدا منها، فضلًا عن كونه قد عُدّ من محاسن الكلام (آمال، 2019 ، ص320).

وهذا الأسلوب من الأساليب التي استعمالها القرآن الكريم، وإنّ سبب نزول بعض آيات القرآن الكريم كان له الأثر في استخدام أسلوب الاعتراض في تلك الآيات.

ولعلّ الناظر لسياق الآيات السابقة واللاحقة لقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القِيَامَة من الآية 16 الى الآية 19] في سورة القيامة لا يكاد يصل إلى المناسبة بين الآية وبين

ما قبلها وبعدها، حتى إن صاحب المحرر الوجيز قال: " اختلف المتأولون في السبب الموجب أن يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر"(ابن عطية،1422هـ، 5/ 404). ووصف السيوطي(ب، 3/ 376) وجه مناسبتها لأول السورة وآخرها بأنه عسر جدًا -حينما ذكرها في كلامه عن علم المناسبة- لأن موضوع السورة العام أحوال القيامة، حتى إنّ الرازي قبل السيوطي كان قد ذكر أيضًا في مناسبتها خمسة وجوه، (الرازي ، 1420 ،30/ 727) بعضها غريب كاعتبار المخاطب في الآيات هو نفس الانسان المذكور في الآيات التي قبلها والمعنى: يعرض عليه كتابه فيقرأ ويتلجلج خوفا ويسرع، فيقال له (لا تحرك به لسانك لتعجل به) إن علينا أن نجمع عملك وأن نقرأ عليك (فإذا قرأناه) عليك (فاتبع قرآنه) بالإقرار بأنك فعلت ثم إن علينا بيان أمر الإنسان وما يتعلق بعقوبته. وما كان هذا الاختلاف إلا للبعد الظاهري بين موضوع الآية وسياق الآيات وجو السورة العام.

وبالرغم من وجود الأقوال العديدة في ذلك إلا أن مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي حديث رقم 5) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه يفسر الآيات بشكل أوضح، حيث أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ يُرِيدُ أَنْ يَحْفَظَهُ مَخَافَةَ أَنْ يَتَفَلَّتَ مِنْهُ، أَوْ مِنْ شِدَّةِ رَغْبَتِهِ فِي حِفْظِهِ فَكَانَ يُلَاقِي مِنْ ذَلِكَ شِدَّةً فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}

ومن هنا كان سبب النزول مقتضيا ذلك الأسلوب القرآني ومبيّنًا وكاشفًا أنْ لا علاقة للآية بسياقها إلا باعتبارها معترضة، وأنّ ما ذهب المفسرون إليه بعد ذلك من محاولة الربط بين الآية وسياقها هو وجوه متكلّفة. قال ابن عاشور: هَذِهِ الْآيَةُ وَقَعَتْ هُنَا مُعْتَرِضَةً. (التحرير والتنوير،1984، 29/ 349)

وينقل الفخر الرازي تقريب ابن حجر لمعنى الاعتراض بقوله: بأنه يشبه ما لو ألقى المدرس على الطالب مسألة، فتشاغل الطالب فقال له المعلّم: ألق إليّ بالك، وتفهّم ما أقول. فبعد أن يكمل المسألة يستنكر من غاب عنه السبب وجود ارتباط بين جملة المعلّم وبين موضوع المسألة. (الرازي، 1420)، ومعلوم لدى أهل اللغة ان من دواعي الاعتراض التنبيه على أمر. (الميداني ،1996، 2/ 80).

أما المعنى البلاغي لأسلوب الاعتراض هنا والذي تعلّق بسبب النزول فقد نقل القاسمي في محاسنه أن في سرّ اعتراض الآية بين أحوال القيامة وجوها: منها تأكيد التوبيخ على ما جبل عليه الإنسان من حب العاجل حتى جعل آثر الدنيا العاجلة على الآخرة، وهو منشأ الكفر، فالنهي عن العجلة في هذا يقتضي النهي فيما عداه، على آكد وجه. ومنها- أن عادة القرآن، إذا ذكر الكتاب الذي هو صحيفة عمل العبد، أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية التي تنشأ عنها المحاسبة عملًا وتركًا (القاسمي،1418هـ، 9/ 365).

وعلى هذا فإنّ سبب النزول هنا كان له علاقة واضحة بنظم الآيات باحتوائها على أسلوب الاعتراض، ثمّ إنّ لهذا الاسلوب غرض بلاغي متعلّق بالآيات هنا وهو تأكيد التوبيخ بسبب العجلة للإنسان لا للنبي صلى الله عليه وسلّم.

المطلب الخامس: سبب النزول وأسلوب الاستفهام

يعدّ الاستفهام من أنواع الإنشاء الطلبي وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأداة خاصة. وقد يخرج الاستفهام وأدواته في اللغة في بعض الأحيان عن المعنى الأصلي الذي وضع له إلى معان أخرى متعدّدة (عتيق،2009،ص88). وبالرّغم من تعدّد هذه المعاني كالأمر والنهي والتسوية والتشويق والاستئناس والتقرير والتهويل.(الهاشمي، ص 84) إلا أنني آثرت ذكر أحدها وأشهرها على سبيل التمثيل مما يتبيّن من خلاله المقصود وهو:

الاستفهام الإنكاري:

فمن المعاني التي تخرج عنها أدوات الاستفهام معنى الإنكار؛ ومعناه: إن ما يستفهم عنه يعتبر أمرًا منكرًا سواء أكان شرعًا أم عرفًا، ويكون هذا الاستفهام الإنكاري أحيانًا توبيخيًا سواء أكان الحدث واقعًا في الحال أو في الماضي، ويقال حينئذ إن هذا الاستفهام هو استفهام إنكاري غرضه التوبيخ (عتيق،2009، ص102).

ومن الأمثلة على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البَقَرَةِ الآية 44]. حيث صُدّرت الآية الكريمة هنا بالاستفهام التوبيخي (القرطبي،1،2003/ 365) وقال الزمخشري: الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب (الزمخشري،1407 ،1/ 133)، وحينما ننتقل إلى ما روي في سبب النرزول نرى مخرج هذا الاستفهام وكيف أنّ سبب النزول فسّره وكشف سرّ وجوده، حيث جاء في سبب النزول عن ابن عَبَّاس رضي الله عنه أنها نزلت في يهود أهل المدينة، حيث كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينه وبَيْنَهُمْ رضاعٌ من المسلمين: أثبت عَلَى الذي أنت عَلَيْهِ ، وما يأمرك به هذا الرجل - يعنون مُحَمَّدًا- صلى الله عليه وسلم - فإن أمره حق. فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه (ابن كثير،1999، 1/ 152).

وفي الفاصلة القرآنيّة: "أَفَلَا تَعْقِلُونَ" توبيخ عظيم، والمعنى: أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه، وكأنكم في ذلك مسلوبو العقول (الزمخشري،1407هـ ، 1/ 133)، فنلاحظ أنّ الأسلوب البلاغي المستخدم هنا كان فيه المناسبة التامّة بينه وبين مخرج الكلام الدّاعي لهذا الاستخدام، والآية فيها اعجاز بالإخبار الدقيق عن أحوالهم وأقوالهم.

وقد ورد استعمال الاستفهام فيما له سبب نزول من الآيات ومما خرج عن معناه الحقيقي لمعانٍ أخرى، ما ورد في قول الله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النُّور الآية 22] حيث نزلت الآية في أبي بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته، فقطع نفقته لما قال في عائشة فأنزل الله الآية فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجَّع إلى مسطح نفقته وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا "(الطبري، 19،2000/ 136).

فجملة (ألا تحبون ان يغفر الله لكم) هي سؤال وفيه معنىً من المعاني قال ابن عاشور(1984 ، ص 184/18): إِنْكَارِيٌّ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّحْضِيضِ عَلَى السَّعْيِ فِيمَا بِهِ الْمَغْفِرَةُ وهو العفو والصفح. وقيل: إنّ معناه هنا العرض وهو طلب الشيء بلين ورفق (عتيق، 2009، ص107). وأظنّ أنّ الأمر محتمل للمعنيين لأنّ أداة "ألاّ" تستخدم لمعنى التحضيض وكذلك لمعنى العرض (رحمة، 2013،ص 4) وعلى كلا المعنيين فإنّ أسلوب الاستفهام هنا وإرادة معنى التحضيض، أو إرادة معنى العَرض قد كان مقامه في حقّ خير الصّحابة أبي بكر رضي الله عنه والذي عقد الرازي عدّة أدلة من الآية على فضله (الرازي،1420هـ، 23/348-352).

الخاتمة:

أولًا: النتائج:

لقد توصلت الدراسة للنتائج الآتية:

- هناك تكاملٌ ظاهرٌ بين التعقيب الفوري المباشر والمنطوي على الإعجاز وبين السبب، وهذا التكامل هو إعجازٌ واضح من ناحية أبلغ من الارتجال.
- إنّ النظرة الشمولية للعلاقة بين أسباب النزول وأساليب القرآن تقول أنّ من آثار أسباب النزول في الأسلوب القرآني وجود صيغ متكررة في القرآن الكريم بعدد ليس بالقليل بجامع وجود أسباب متشابهة لكلّ منها؛ منطوية على الإجمال والإيجاز والإعجاز في آن واحد، بحيث طوى القرآن تفصيل الأزمان، وأبهم الأشخاص ، وذكرهم بلفظ العموم أو بضمير الجمع.
- اقتضى سبب النزول أحيانًا وجود مؤكّدات في آيات خلت نظيراتها من ذلك. لأنّ الأولى في مقام الجحد أو الاستغراب أوغيرها من دواعي التأكيد. وبهذا نقول أنّ اختلاف بعض النظائر من ناحية النظم تبعًا لوجود سبب لبعضها له دلالة واضحة على وجود آثار لأسباب النزول في الأساليب المستخدمة في آياتها.
- بين سبب النزول والأسلوب القرآني علاقات ظاهرة أخرى حيث :
  - أزال سبب النزول إشكالات استعمال أساليب بلاغية في بعض الآيات.
  - أفاد في اكتشاف العلاقات في بعض الأساليب البلاغية كالعلاقة بين الشرط وجوابه ممّا لم يُفهم إلا بمعرفته.
  - كانت تصاريف بعض الأفعال الماضية والمضارعة المذكورة في القرآن الكريم تحاكي واقع تلك الأفعال كما رواها سبب النزول، وإن كان للمستقبل فهو إعجاز غيبي.
  - لا يوجد تفسير منطقي للمناسبة بين الآيات في سياقها أحيانًا إلا باعتبارها مثّلت أسلوبا بلاغيًا مراعاة لسبب نزول كاعتبارها معترضة كما في سورة القيامة، وأنّ غيره من الاجتهادات هي وجوه متكلّفة أمام سبب النزول الواضح.
- إن من أدقّ ما يعرّف به سبب النزول هو " ما نزل فيه قرآن متحدّثا عنه أيام وقوعه" وذلك ليشمل كل صور أسباب النزول.
- مصطلح " أسباب النزول" هو مصطلح دلّت به ألسنة العلماء قديمًا وحديثًا، وأنّ ما اقترحوه من أسماء جديدة لا تكاد تُسلم لهم.

ثانيًا: التوصيات:

وبناءً على النتائج التي خلصت إليها الدراسة فإننا نوصي بما يلي:

- دراسة بعض الصيغ القرآنية المتكررة وأسرارها في مواضعها وسياقاتها.
- دراسة أثر سبب النزول في دفع موهم الاختلاف والتناقض في كتاب الله.

المراجع:

الآلوسي، م. (1415 هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. (تحقيق: علي عطية)، دار الكتب العلمية.

اسلامبولي، س. (2002). *ظاهرة النص القرآني تاريخ ومعاصرة*. دار الأوائل.

آمال،ف. (2019). أسلوب الاعتراض في شعر بشار بن برد ، دراسة في ضوء نظرية الاتصال لرومان جاكبسون. *مجلة بحوث كلية الآداب – جامعة المنوفية*: م 30- ع117.

التوحيدي، م. (1420هـ). *البحر المحيط في التفسير*. (تحقيق: صدقي محمد) دار الفكر.

ابن حزم، ع. (1986). *الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم*. (تحقيق: د. عبد الغفار البنداري)، دار الكتب العلمية.
الحميري، ن. (1999). *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*. (المحقق: د حسين العمري) دار الفكر المعاصر.
الرازي، ح. (1419ه). *تفسير القرآن العظيم*. (تحقيق: أسعد الطيب) (ط3)، مكتبة نزار الباز.
الرازي، م. (1420 ه). *مفاتيح الغيب*. (ط3)، دار إحياء التراث العربي.
الزرقاني، م. (د.ت). *مناهل العرفان*. (ط3) مطبعة عيسى الحلبي.
الزركشي، م. (1957). *البرهان في علوم القرآن*. (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
الزمخشري، م. (1407ه). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ومعه حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف)*. لابن المنير الإسكندري (ط3)، دار الكتاب العربي.
السيوطي، ع. (1974). *الاتقان في علوم القرآن*. (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، الهيئة المصرية العامّة للكتاب.
السيوطي، ع. (1999). *الباب النقول في أسباب النزول*. (تحقيق: الشيخ أحمد عناية)، دار الكتاب العربي.
الشاطبي، أ. (1997). *الموافقات في أصول الشريعة*. (تحقيق: مشهور بن حسن)، دار ابن عفان.
الشوكاني، م. (1414ه). *فتح القدير*. دار ابن كثير.
الطبري، م. (2000). *جامع البيان في تأويل القرآن*. (تحقيق: أحمد شاكر). مؤسسة الرسالة.
ابن عاشور، م. (1984). *التحرير والتنوير*. الدار التونسية للنشر.
عبود، م. (2014). *أدب العرب*. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
عتيق، ع. (2009). *علم المعاني*. دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
ابن عطية، ع. (1422ه). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية.
علي، ج. (2001). *المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام*. (ط4) دار الساقي.
ابن فارس (1979م) معجم مقاييس اللغة (تحقيق: عبد السلام هارون)، دار الفكر.
الفيروز أبادي، م. (2005). *القاموس المحيط*. (ط 8)، (تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة).
القاسمي، م. (1418ه). *محاسن التأويل*. (تحقيق: محمد باسل عيون السود) دار الكتب العلمية.
القرطبي، أ. (2003). *الجامع لأحكام القرآن*. (تحقيق: هشام سمير البخاري) دار عالم الكتب.
القطان، م. (2000). *مباحث في علوم القرآن*. (ط3)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
ابن كثير، أ (1999). *تفسير القرآن العظيم*. (المحقق: سامي سلامة) (ط 2)، دار طيبة للنشر.
ابن محمد، ع (2017) أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم مجلة الإحياء عدد 20
المناوي ، ع. (1990). *التوقيف على مهمات التعاريف*. عالم الكتب.
ابن منظور، م. (1414ه). *لسان العرب*. (ط3)، دار صادر.
الميداني، ع. (1996). *البلاغة العربية*. دار القلم.
ابن النجار، م. (1997). *المختبر المبتكر شرح المختصر*. (تحقيق: محمد الزحيلي) (ط2)، مكتبة العبيكان.
النيسابوري، م. (1955). *صحيح مسلم*. (المحقق: محمد فؤاد)، مطبعة عيسى الحلبي.
الهاشمي، أ. (د.ت). *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*. (تحقيق: د. يوسف الصميلي) المكتبة العصرية.
الواحدي، ع. (1412ه). *أسباب نزول القرآن*. (المحقق: عصام الحميدان)، (ط2)، دار الإصلاح.
الوادعيُّ، م. (1987). *الصحيح المسند من أسباب النزول*. (ط4)، مكتبة ابن تيمية.